

فكاهات

الضريح (١)

حدثني صديق قال

ما انتهى موسم سنة ١٩٠٢ واتقضى شتاؤها حتى دخلت القاهرة كما دتها في طورها الصيفي فوقعت حركة العمل وهبت الحماسين وزادت حرارة الشمس فعلها في الاجسام وكنت قد رصدت حساباتي السنوية فوجدت ان ارباحي في ذلك العام فاقت العام السابق فحدثني نفسي ان ارواح النفس من عناء الاشغال والنحو من حرارة الصيف ولم يكن لي عيال يسكونني فجهزت لوازم السفر وغادرت القطر منطلقاً في ارض الله حرّاً كالهواء وسعيداً كطير السماء . وما زلت انتقل من بلدة الى اخرى حتى ألتاني الترحال الى ايطاليا فكنت انتقل في مدنها الى ان بلغت فلورنسا فأعجبني جداً واقمت بها اياماً زرت فيها جميع انحاء البلدة بصحبة صديق عرفته هناك شخصياً وكنت اعرفه قبلاً بالاسم لما بين محلي ومحلوه من المعاملات . وبينما كنا يوماً نسرّح الطرف في شوارع تلك المدينة وتفرج على بناياتها الفخيمة نظرنا قصرًا قديم البناء عظيم الابهة في وسط حديقة متسعة غناء جمعت من كافة اصناف الاشجار المثمرة والازهار البديعة . وكان باب الحديقة مفتوحاً واخبرني صديقي ان الدخول مباح للجمهور فدخلنا نتحدر بين الورود والرياحين وصديقي يتاول علي تاريخ ذلك القصر وسكانه فعلمت منه انه لأسرة من اقدم أسر الطليان واعرقهم نسباً حافظ بنوها على هذا البناء ويقوم فيه الآن الباقي من نسلهم واسمه المركز بيرنزا . وبلغنا في منتصف الحديقة بناية صغيرة من حجر المرمر تحيط بها اعمدة من الرخام البديع

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

النقش وعليها قبة من صنف البناء وفي اعلاها تمثال لم تصنع يد تقاش ابداع منه . وكان على مسافة قريبة من هذه البناية وعلى محيطها اشجار من الصفصاف الباكي قد تدلت غصونها فوق البناء فزادت في حسن منظره أكثر من الرياحين والورود التي كانت تكسو الارض كأنها بساط فرشته يد الطبيعة اجلالاً لذلك المقام . وسألت صدقي عن المراد بهذه البناية فقال لي انها ضريح . فقلت قد اريتني في المقبرة بناية تثنى بالالوف واخبرتني انها مقبرة اسرة بيرنزا فلماذا لم يدفن فيها هذا الميت ولم شذ هذا عن قاعدة الاسرة وكيف وجد الضريح بجانب قصر السكنى وفي وسط هذه الحديقة . فتهد صدقي وقال ان لذلك تاريخاً محزناً وان شئت اطعمتك عليه . فقلت نعم احب ان اسمع ذلك فقادني الى ناحية خيمت فيها الاشجار واجلسني على دكة طبيعية في جذع شجرة قديمة وبعد ان صمت هنيهة جمع فيها افكاره قصاً علي ما يأتي فقال

اعلمت شيئاً من تاريخ اسرة بيرنزا وانه لم يبقَ منها سوى ساكن هذا القصر واسمه المركيز روبرتو بيرنزا . فلما كان في الخامسة والعشرين من عمره اقترن بفتاة من اسرة لا تحط عن اسرته مقاماً فكانت لا تهتم الا براحة زوجها ولا يهيمه سوى رضاها . وفي نهاية السنة رزقها الله ولداً ذكراً سماه لودوفيك وكان سرورها بهذا المولود لا يعادله سرور في العالم وجعلها شغلها الشاغل الجلوس بجانب سريره يتأملان جماله الملوكي ويمدان تنفساته وطرفات جفنيه . وكان الغلام ينو تحت رعايتها فيزيد وجهه اشراقاً ويمتلئ جسمه وتتقد في عينه نار العظمة والذكاء

وفي ذات يوم كان المركيز في مكتبته يطالع اوراقاً تختص بأشغاله فخرجت المركيزة الى الحديقة وبصحبته الخادمة تحمل الطفل وقد بلغ الثالثة من عمره فكانا ينزهانه في ارجاء هذه الحديقة . وبلغا جانباً منها كان يحفظ المركيز فيه اصناف الطيور والحيوانات الداجنة لانه كان مولماً بتربيتها وكان بينها ثور شرس جداً اتباعه المركيز حديثاً ثمن باهظ رغبةً منه في الحصول على نتاجه . وحدث انه عند اقتراب المركيزة وولدها والخادمة ان الثور كان في ساعة هياج شديد وزاده منظر

الضياء

(٩٠٥)

هؤلاء شراسةً وجنوناً فكان يثبُّ في بيته الخشبي فيزعزعهُ وخشيت المركيزة سوء العاقبة فأشارت الى خادمتها بالابتعاد عن ذلك المحل وما سارا قليلاً حتى رأى الثور ابتعادهم فزاد غيظهُ وهجم الى باب زرينته ودفعهُ بقوةٍ شديدة فتحطم وخرج منه يعدو تابعاً اياهم . فصاحت المركيزة صياح الرعب وانطلقت تجري بمنتهى قوتها وراء الخادمة وكانت قد ضمت الغلام الى صدرها واطلقت ساقيا للريح . وما زالتا في ركض شديد حتى عثرت الخادمة بطرف ثوبها فسقطت والغلام الى الارض ورأت المركيزة ذلك والثور جادٌ في اثرهما فرأت ان لا بد من استيقافه قليلاً ريثما تتمكن الخادمة من النهوض أو يحيي احد لاغائتها . ولما لم يكن لها من الوقت الا ثوان قليلة لان الثور أوشك ان يدركها وقد نظرت الى ولدها في ذلك الخطر وكأن تلك النظرة قد اكملت فيها القوة التي كانت تتوقعها فارتدت على اعقابها لتقابل الثور الهائج بقلب اشد من الحديد كلبوثةٍ تودُّ ان تلتقي بصدرها رصاصة الصياد الموجهة الى قلب شبلها . وكان ما برق في عينيها من نار القوة والاقدام وما ظهر من جرأتها في ذلك الاقدام قد اثرا في الحيوان فتوقف هنيئةً ولكنه ما عتم ان عاد الى عدوه هازناً بذلك العدو اللطيف واستقبل المركيزة وقد نكس رأسهُ وضربها بقرنيه بقبر بطنها ثم رفعها عن الارض . وفي نفس الدقيقة دوى في الفضاء طلق نارٍ ارتفع على اثره جوار الثور ثم سقط الى الارض يتدفق الدم من صدره . وكان المركيز قد سمع صراخ زوجته والخادمة فأطل من نافذة غرفته مذعوراً ورأى المنظر الذي ذكرناه فأسرع كوميض البرق الى غرفة السلاح وأخذ بندقية ثم عاد الى النافذة واطلق تلك الرصاصة القاتلة في نفس الدقيقة التي كان فيها قد قضي على المركيزة

واسرع المركيز وخدم القصر الى محل الحادثة واهتم بعضهم بالطفل والخادمة وكانت قد اغمي عليها لشدة الرعب على اثر وقوعها واسرع المركيز الى زوجته فرفعها عن قرني الثور وتقاوها الى القصر واستدعى المركيز اشهر الاطباء للنظر في امرها فوجدوا ان لا امل في نجاتها . وبقيت تلك المسكينة ليلتها في عذابٍ شديد ولم تنطق بكلمة واحدة الى انبثاق الفجر فاشارت انها تود مشاهدة ولدها فأثورها به فجاهدت

شديداً حتى تمكنت من مديدها فوضعتها على رأسه وقالت ساحني ايها الصغير فقد جئت بك الى هذا العالم ولم اتمكن من مساعدتك للسير فيه ثم ضمتها الى جانبها فقبلته ونظرت الى زوجها كأنها تريد ان توصيه به ولكنها لم تستطع النطق فاقترب المركز منها والزفرات المتصاعدة تمزق صدره وقال قد فهمت مرادك ايتها الحبيبة فتبسمت وشخصت بصرها الى العلاء واسلمت الروح

وكان حزن المركز في غاية المرارة فدفن زوجته بنتهي الاجلال والاكرام واقطع عن جميع الملذات والمسرات فلم يعد يخرج من قصره واقطع الى السهر على ولده ولم يسمح لاحد بمقابلته سوى خادم امين يدعى لورنسو كانت اجداده في خدمة اجداد اسرة بيرنزا فكان المركز يأنس به ويرى بهذا الرفيق عزاء وسلواناً وشب لودوفيك فكان مثال والدته في الجمال ورقة الطبع وطيبة القلب ومثال والده في قوة الجسم والادراك والاقدام وتلقن علومه الاولى على ايدي اساتذة استحضرم له المركز. ولما بلغ الحادية والعشرين من عمره طلب من والده ان يرسله الى باريز ليدرس فيها الحقوق . فكان لهذا الطلب عند المركز في اول الامر وقع محزن جداً لانه كان يود ان لا يفارق ابنة طرفه عين ولكنه عاد فتذكر مجد اسلافه واقدامهم ورأى من الصواب ان يكون ابنة كاجداده رجل فخار وشهرة واسعة لا تنأى له اذا اقام العمر في قصره فاذعن اخيراً لطلب لودوفيك وهو يود ان تفارقه حياته ولا يفارقه ابنة . ثم جهز له لوازمه واعطاه مبلغاً كافياً من المال وزوده ببعض الوصايا الابوية وسافر لودوفيك الى باريس مترضياً والده معتمداً على تسهيل الله . ودخل المركز الى قصره فارتى على سريره واستخرط في البكاء

وبلغ لودوفيك باريس فتوجه الى مدرسة الحقوق وانتظم في سلك الطلبة ثم اكرت له غرفة في بعض احياء المدينة التي تقرب من المدرسة وكانت غرفته في بيت كبير بناه اصحابه لتأجيره غرفاً غرقاً . فأث لودوفيك غرفته بسلامة ذوقه فكان رياشها بسيطاً وفلخراً وكان يقضي معظم نهاره في المدرسة ومتى انتهى منها يعود الى غرفته حيث يطالع دروسه او يؤلف الحاناً موسيقية على البيانو وكان شديد

الضياء

(٦٠٧)

الولع بالقرع عليه . وبقي على هذه الحالة السنة الاولى والثانية وكان يرجع الى ابيه في فلورنسا ويقضي بجانبه اياماً من كل سنة مدة عطلة المدرس

وفي اثناء السنة الثانية صاحب لودوفيك رصيلاً له في المدرسة يدعى اوغست وكان هذا من اسرة غنية جداً ولكنه ضعيف البنية . وكان التلامذة يكرهونه فتعصبوا عليه اما لودوفيك قال اليه ولزم صحبته ولما لم ير اوغست له معيماً سوى لودوفيك الفه واصبح كاخيه فكان يأتي في اكثر الاحيان ويقضي اوقات فراغه معه في غرفته . وحدث يوماً ان كان لودوفيك يطالع في كتبه فسمع صراخاً فاجعل ووثب الى باب غرفته فرأى في غرفة مقابلة فتاة تستغيث فاسرع اليها فعمل انها تقيم هناك مع والدتها منذ مدة وان والدتها قد مرضت من عهد قريب وقد اشتد بها المرض واصابتها في تلك الدقيقة نوبة شديدة فخافت الفتاة وصرخت مستغيثة وهي لا تدري ماذا تفعل . فتقدم لودوفيك الى داخل ورأى الام على سريرها وقد نخصت عيناها واصفر وجهها ووقفت قطرات العرق البارد على جبينها فتقدم بكل هدوء وجس يدها فوجد ان سخونة الحياة قد فارقتها وتسلمت عليها برودة الموت ثم أدنى رأسه من صدرها فوجد ان ضربات قلبها قد وقفت . ورأى بعد هذا الفحص ان الفتاة تنتظر منه كلاماً فترك الميتة واخذ في تعزية هذه بكلمات رقيقة واعلمها بمتهى الرقة والحنو أن والدتها قد قضت نحبها . فجمعت الفتاة تلمطم وتتحب وتقول اواه يا أماه والى من تركت ابنتك وحيدة في العالم . وكان لودوفيك قد نادى صاحبة البيت ووكل اليها الاعتناء بتجهيز القفيدة واجراء اللازم لدفنها واهتم هو بتسليمة الفتاة وقد رأى فيها جمالاً ملائكياً وأدباً وبساطة اخذاً بكامل عقله . ولما حُملت الجنازة الى المدفن وواروا الجثة في التراب اخذ لودوفيك بذراع الفتاة وارجمها الى البيت وهو لا ينفك عن تسليتها وتسكين عواطفها بارق الكلام واعذب عبارات التعزية . ورأت الفتاة من نفسها ثقةً بلودوفيك فكانت تعامله معاملة اخ حبيب وتنتظر رجوعه من المدرسة بكل اشتياق فلا تقع عينها عليه حتى يسري عن وجهها ما تراكم عليه من الحزن والهلم . وشعر لودوفيك ان من واجباته تسليمة الفتاة في زمن حزنها فكان

إذا انتهى من درسه يعود مسرعاً الى البيت ليقابلها ويجمع بها . وعرف منها انها تدعى مرغريت وانها جاءت ووالدتها من جنوبي فرنسا بعد موت ابيها وسكنت ذلك المحل فكانت الام تعمل في الخياطة وصناعة القبعات فتكسب ما يكفي لقوتها وتربية ابنتها . فقال لها لودوفيك وماذا ترومين ان تفعل الان . قالت سأبقى في هذا المحل لاني غريبة عن العالم ولا استعطي لاني فتاة في نضارة شيبتي وابان قوتي فسأسعى في تعاطي عمل كما كانت تفعل والدتي . فسوّب لودوفيك رأيسا وتبتها على عزمها ووعدها انه يبذل جهده في تدبير اشغال يحضرها لها لتعملها . وكان حقيقة كالاخ يساعد مرغريت ويجرسها ولا يفارقها كلما تمكن من ذلك . وكان يعجب بأدائها وذكائها الغريب فكان موضوع حديثها ادبياً اجتهد فيه لودوفيك ان يبث في صدرها زيادة العلم والاطلاع فاذا سارا في الحديقة وصف لها الازهار وعلمها في عرض الحديث شيئاً من علم النبات او اذا سهرت كلهما عن النجوم والافلاك وكانت تجد في حديثه لذة وتشعر بارتفاع ضبابه الجهل عن عينيها وتوسعها في المعرفة فصارت لا تجد لذة الا بوجود لودوفيك فتدأب في العمل مدة غيابه وتفرغ لمجالسته حين وجوده . وكان العمل الذي يحضره لها مع مساعدة مالية يضيفها الى اجرة عملها بدون علمها كافية لمعيشتها . وسمعا يوماً تنشداً فاعجبته صوتها الرخيم وكانت قد اقتضت مدة الحداد على والدتها فطلب اليها ان تجيء الى غرفته وكان يعلمها ضرب البيانو والغناء . وبالاجمال فانه كان كالصائغ ومرغريت في يده كسبيكة من الذهب الثمين يصوغها كيف شاء ويفرغها في القالب الذي يراه اتم صنعاً وابدع جمالاً

وفي ذات يوم كانت مرغريت في غرفة لودوفيك تراجع اغنيةً علمها اياها فدخل صديقه اوغست وما وقعت عينه على طلعة مرغريت حتى شعر بتغيير حاله فوقف هنيهة يتأمل في جمالها الرائع وصوتها الرخيم وحسن تنقل اصابعها على الآلة الموسيقية ولما انتهت مرغريت من اغنياتها قدمها لودوفيك الى صديقه وعرف بعضها ببعض وجلس الثلاثة معاً ففاصوا في بحار الحديث

وسقط اوغست في وهدة الهيام وادرك ان صديقه لودوفيك يهاواها ايضاً

الضياء

(٦٠٩)

ولكنه تجاهل الامر وسعى في استالة قلب الفتاة فجعل يزور صديقه يومياً وفي كل يوم يستصحب معه هدايا نفيسة فيقدمها الى مرغريت وتقبلها منه بنتهي البساطة والشكر . اما لودوفيك فكان قد وطن عزمه على الاقتران بمرغريت متى بلغت سن الرشد ويكون هو حينئذ قد انهى دروسه فيصير ولي امره ولذلك لم يشأ ان يفتحها بشيء من هذا الموضوع بل اقتصر على ما ذكرنا من معاشرتها وتخليقها باخلاقه وتعليمها ما يود أنها تعرفه . فلما انتهت السنة المدرسية وجاءت ايام العطلة سافر لودوفيك كما دته لاقضاء تلك المدة مع والده تاركاً مرغريت في حراسة صديقه اوغست بعد حراسة الله

ولما انقضت ايام العطلة عاد لودوفيك الى باريس فوجد ان حبيبته مرغريت قد غادرت محل سكنها فتعجب عجباً شديداً وقلق لهذا الامر ثم سمع ايضاً من افواه رصفائه ان اوغست صديقه لم يعد الى المدرسة فاشتغل خاطره وقضى اياماً يبحث بحثاً مدققاً عن صديقه ومالكة فواده فلم يقف لهما على اثر . وبعد نحو خمسة عشر يوماً من عودته بينما كان لودوفيك جالساً في غرفته لم يشعر الا وباب غرفته قد فتح ودخلت مرغريت وهاء الحياة يتدفق من وجهها . فشقق لودوفيك لرؤيتها ونهض لاستقبالها ثم جلس الحبيان واخذ لودوفيك يقص عليها ما ناله من الاسف حين عاد ولم يرها . فأظهرت مرغريت شديد الاستغراب لكلامه وقالت كيف انتظرت ان تراني هنا وقد اوصيت صديقك اوغست ان يذهب بي الى ليون . فحلق بعينه وقال الى ليون . . انا اوصيت اوغست ان يذهب بك فما معنى هذا الكلام . فقالت مرغريت نعم انه بعد سفرك بيوم واحد اخبرني اوغست انك تجبني محبة اخت وانك كنت تود ان تقترن بي لو كنت من اسرة في مقام اسرتك ولكنك لا تتمكن من ذلك لانني فقيرة الحال ومن ابوين فقيرين وانك اقنعتني بوجود محبتي والاقتران بي بعد سفرك فوراً وان ينقلني الى ليون . ولا اكتمك اني لم اكن اميل الى اوغست قط وانني من اول مرة رأيتك علقمت جميع آمالي بك ووددت ان اكون زوجة لك غير انني لما سمعت برغبتك هذه واعتقدت انه من المحال ان اكون لك اخفعت

لحكمت كرهاً وأنا أود ان ابقى الى الابد في منزلة شقيقة لك تثق بك وتتكلم عليك،
فاقترنت بأوغست وسافرت معه لارضيك فقط . ولكنني ما بعدت عن باريس
حتى شعرت ان نفسي في سجنٍ مظلم وان لا شيء في العالم يعيد الي سروري
وارتياح ضميري سوى وجودك بالقرب مني فكنت اتوقع ايام عودتك حتى علمت
ان موعد المدرسة قد عاد فطلبت الى اوغست ان نرجع الى باريس فأبى وحدثني
نفسى بعد رفضه بأشياء فعزمت ان اقبالك واسألك ان تصرح كأخ بما يكتفه فؤادك
من نحوي . وكان لودوفيك يسمع كلامها وهو يشعر بانقضاض صاعقة على رأسه أو
أفعى تنهش صدره وتأكد للحال خيانة اوغست صديقه وانه احتال على ذلك
الملك فانتشله من بين يدي لودوفيك . فصمت حيناً وهو كالمبهوت لا يمجير جواباً
ولكنه عاد فتمالك روعه وقال يا حبيبتي مرغريت انني لم احبك كأخ قط بل انما
احببتك كملك سعادتي ونجم مستقبلي وكنت احسب الايام والدقائق الى ان انتهي
من المدرسة فأبوح لك بحبي الذي كنت انا كد ان عندك نظيره لي فاقترن بك
ونرجع الى والدي ليستقبلنا ببركته الابوية . فآه من الخائن الذي تجاسر ان يهدم
صرح آمالي ويقطف زهرة حبك التي كنت اراعي نموها منذ عرفتك الى الآن .
وادركت مرغريت الحالة في لحظة واحدة وكانت حقيقة متمية بهوى لودوفيك ولم
تتخذ اوغست زوجاً لها الا رغبة في ارضاء حبيبها فأصابها نوبة عصبية وسقطت
بين يدي لودوفيك خائرة القوى تصعد الزفرات

ولما ملك الحبيبان روعهما قال لودوفيك يا مرغريت قد قضت العناية بما حصل
وحرمتني اياك فارجمي الى اوغست وعساه ان يقوم لديك بما كنت اود ان اقوم
به انا . قالت كلاً ان اذهب ما لم تجيء بصحبتى فنعيش معاً لانني ان لم احقق
سعادتي بان اكون زوجة لك فلا اقل من ان تبقى اخاً لي وقريباً مني . وظهرت على
وجه لودوفيك علامات دالة على الحرب العوان الثائرة في صدره فتهد من قلب
جرميج وقال لا . لا . ان هذا اليوم قد قرر مستقبل حياتي يا مرغريت فاني لم أر
الحيلق الا في وجهك ولا السعادة الا في قربك ولا الفوز الا بالحصول عليك اما

الضياء

(٦١١)

الآن وقد أصبحت ملك سواي فقد حرمني الدهر جميع ذلك ولست بخائن صدائقي
لاوغست لاسعى في استرجاع ما سلبنى اياه . بل ان نفسي تصدني عن ارتياد ماء
قد وانغ فيه هذا الخائن فزوديني نظرة أخيرة من هذا الوجه اللطيف وعودي الى
روجك واتركيني الى ما صممت عليه . فقالت والياس يقطع فؤادها وعلام صممت
ايها الحبيب . قال سيلغك ذلك عن قريب

وقضى الحبيبان حصه من الزمن ياسفان على ما جرى ويجزان على ما ليس
في الامكان رده ثم اجبر لودوفيك مرغريت على مفارقه فخرجت تاركة روحها
بين يديه وبقي لودوفيك ينظر الى ان غابت عن بصره فعمد الى مكتبه وكتب
الى والده الكتاب الآتية صورته

يا ابي الحبيب

اصفح لي يا ابت عن المرارة التي سأذيقك اياها برضاي . اني صممت على نية
لا تحولني عنها قوة بشرية ولكنني اقف عند الافكار بها لا اخط لك هذه الكلمات
فيا ابت اصفح لي . قد وهبني الحياة يا ابي فهذه الحياة ارفضها الآن . قد علمتني
منذ صغري ان اعيش شريف النفس او اموت قبل فقد شرف نفسي ولم يمكنني
الامر الاول فقد اخترت الثاني ولا يبلغك تحريري هذا الا ويكون ولدك الوحيد
قد مات مفضلاً ذلك على الاخلال بالمبدأ الذي تعلمه منك

قد خانني يا ابت اعز اصداقائي وسلب مني فريدة عقدي لا يوازيها العالم باسره
فان شئت ان اعاقب ذلك الصديق واجازي شره بشر اعظم فليس ذلك مما علمتني .
وان عزمتم على استرجاع ما سلب مني فبهيات ان تعود تلك الجوهرة الى صفاء
مائها وقد دنستها يد الخائن الظالم . وان رضيت بالمذلة ووقفت ناظرًا بسكوت الى
ما حصل فان دم بيرنزا لم يسبق له ان يجمد باردًا في اتون من النار . فترى اذا
يا والدي الحبيب ان حياتي التي اعطيتني اياها لم يعد لها نفع عندي ولذلك ارى
نفسي مضطراً ان لا اقبلها بعد الآن . فاجثو تحت قدميك يا ابت ضارعا اليك ان
تصفح عن ولدك النكد الطالع لما يسببه لك الآن من الحزن وتعزباً بما اعتقده الآن

في ساعة موتي ان حياتي لو بقيت لكانت شقاءً مستمراً اما موتي فسعادة وهناء
ولذلك الجاحد فضلك

لودوثيك

ولما انهي لودوثيك رسالته هذه ختمها وعنونها باسم والده ثم القاها على مكتبه
وجعل يخطر في غرفته ذهاباً واياباً وهو عرضةٌ لافكار هائلة وكأنه لم يتمكن من
احتمال تلك الافكار فأسرع الى غدارة كان يحفظها عنده فحشاها وأخذ باليد الواحدة
صورة حبيبته مرغريت فأدناها من فيه واطلق بالاخري الغدارة على رأسه فخر الى
الارض قتيلاً

واكتشفت جثته في اليوم الثاني فنقلت مع كتابه الى فلورنسا الى ابيه فكانت
حالة المركز الشيخ تفتت القلوب واستقبل جثة ابنه ومن يراه يظنه انه هو الفقيد .
وكان ان يقيم احتفالاً باهراً فأبت الكنيسة ان تسمح له بذلك لانها لا تقيم
احتفالاً دينياً للمتحرين ولم يؤذن له ان يدفنه في مقبرة الاسرة لنفس السبب
فضاقت الدنيا على رحبها على وجه المركز فأخذ جثة وحيد ودفنها في هذه الحديقة
بمساعدة خادمه الشيخ وبنى فوقها هذا المزار وهو من ذلك الحين يقضي معظم وقته
فيه . ولما بلغ مرغريت ما جرى انبها ضميرها لتصديق اوغسبت والاعتذار به فكانت
سبباً لموت حبيبها فذهبت الى دير تقضي فيه بقية ايامها

وما أتم صدقي تلاوة هذا التاريخ المحزن حتى حانت منا نظرة فرأينا المركز
وقد حنى ظهره الكبر وايض شعره الطويل المسترسل على اكتافه وصدره قد أتى
باكليل من الورد فوضعه على جانب من الضريح وجثا رافعاً يديه الى السماء
مصلياً مستمطراً على ابنه الرحمة والرضوان . ولا اذكر في جميع سياحتي منظرًا اثرت
في روئيته كذلك المنظر المهيب فلا تبرح صورته من مخيلتي

